جَلالُ الدِّينِ الـرومـيُّ
داعيةُ الحبِّ والإيـمانِ
(604 ـ 672هـ)

جلالُ الدِّين الرُّوميُّ داعيَةُ الحُبِّ والإيمانِ، وسُلطانُ عُلماءِ عَصرِهِ، وسيمفونيَّةُ الزَّمانِ الخالدةُ الَّتي صَدَحَتْ بِأَسمَى أَلحانِ الحُبِّ الإلهيِّ الَّذي يَعرجُ بِالرُّوحِ إِلى العوالمِ الصَّمدانيَّةِ في السَّماءِ، وكَذلِكَ رَدَّدَتْها قلوبُ العارفينَ والمُتقينَ، ودَوَى صداها في محرابِ الحياةِ والكونِ كَنشيدِ أَملٍ يَحدو بِهِ الشَّادي إِلى عالمِ الخُلودِ في سبحاتٍ دائمةٍ لَمْ تَنقطعْ في زمنٍ مِنَ الأَزمانِ، ولَمْ تَندثرْ عَلى تَعاقبِ العصورِ والأَجيالِ.

وصَحيحٌ أَنَّ الَّذينَ يَعرفونَ شَيئاً عَنْ حياةِ الشيخ جلالِ الدِّين الرُّوميِّ هُمْ قِلةٌ بينَ المُسلمينَ اليَومَ، إِلَّا أَنَّ التَّاريخَ يَذكرُهُ دائِماً كُلَّما أطلَّ بِوحيِهِ عَلى أَنَّهُ أَحدُ الرُّوادِ المُصلحينَ مِنْ عُظماءِ الأُمَّةِ الإِسلاميَّةِ الَّذينَ لَعبوا دوراً هامّاً في تاريخِ الدَّعْوَةِ والإِصلاحِ وتَجديدِ الفكرِ الإِيمانيِّ، وإِيقاظِ الشُّعورِ الرُّوحيِّ والدِّيني والوجدانيِّ في الأَوقاتِ الحرجَةِ الَّتي كانَتْ تَنتابُ أُمَّةَ الإِيمانِ والتَّوحيدِ بينَ الفَترةِ والأُخرَى، وتُنذرُ بِانحدارِها نَحوَ مَهاوي الرَّدَى والضَّياعِ. وما أَكثرَ ما مَرَّتْ بِهِ أُمَّتُنا بِهكذا ظروفٍ عبرَ تاريخِها الطَّويلِ، وما تزالُ!

فَقَدْ غزَتِ العالَمَ الإسلاميَّ، موجاتٌ كاسحةٌ مِنَ التَّفكيرِ الفَلسفي الجافِّ، البَعيدِ كُلَّ البُعدِ عَنْ روحِ الوَحيِ والإيمانِ، وباتَ التَّفكيرُ العَقليُّ عِندَ كثيرٍ مِنَ المُسلمينَ يَخضَعُ لمبادئِ المَنطقِ اليونانيِّ، الَّذي يُنكرُ كُلَّ معرفَةٍ لا تَأتي عَنْ طريقِ الحواسِّ الخَمسةِ، واصطَبَغتْ حياةُ المُسلمينَ بِصبغةٍ ماديَّةٍ صَرفَةٍ غابَتْ فيها العاطفةُ الدِّينيَّةُ، وشَطَّ عَنها الشُّعورُ الإيمانيُّ والرُّوحيُّ الَّذي هوَ مصدرُ القُوَّةِ لأمَّتِنا، وأساسُ النَّهضَةِ لِحضارَتِنا، وعُنوانُ الخُلودِ لِمبادئِنا ولِقِيَمِنا الإسلاميَّةِ العامرةِ بِالحبِّ والإيمانِ والسَّلامِ.

وهَكذا أَصبَحتِ الأُمَّةُ الإسلاميَّةُ بِحاجَةٍ إِلى رَجلٍ مُفكر يَبُثُّ فيها العاطفةَ الدِّينيَّةَ، ويُعيدُ إِليها روحَ التَّفاؤُلِ بِالسَّماءِ، ويَكنسُ ما رانَ عَلى قُلوبِ أَبنائِها مِنْ عواطفَ دنيويَّةٍ وماديَّةٍ غايَتُها إِرضاءُ الأَهواءِ والشَّهواتِ، ويَدفعُ عَنْ نفوسِهِم المشاعرَ والنَّزعَاتِ الماديَّةِ الَّتي حالَتْ بينَهُمْ وبينَ مَحبَّةِ اللهِ وطاعَتِهِ، فَكانَ جَلالُ الدِّين الرُّوميُّ ذَلكَ الرَّجلُ والمُفكرُ الشَّاعرُ الَّذي أعادَ لِروحِ الأُمَّةِ نَبضَها الإسلاميَّ، وأشعلَ في قلوبِ أَبنائِها الحُبَّ الإلهيَّ، وحَفَّزَهُمْ نَحوَ التَّطلعِ إِلى مرضاةِ اللهِ ورَسولِهِ واتِّباعِ هَديِهِما.

وكانَ كتابُهُ الشِّعري والفَلسَفي «المَثنوي المَعنويُّ» ردَّةً جَديدةً في عالمِ الفكرِ، وعَودةً قَويَّةً إِلى مَنهجِ التَّفكيرِ الرَّباني الَّذي قوامُهُ الحُبُّ والتَّسليمُ المُطلقُ عَنْ وَعي وإِدراكٍ لِلإِلهِ الخالقِ العَظيمِ، فَاقْتَدى بِهِ أَبناءُ الأُمَّةِ، ورَتَّلوا ما جاءَ في ثنايا فكرِهِ وفلسَفَتِهِ مِنْ تَعظيمِ اللهِ، وإِفرادِ الحُبِّ والطَّاعةِ لَهُ تَرتيلاً، بَعدَ أَنْ خَلصوا مِنْ ملوثاتِ الفِكرِ الفَلسفيِّ الماديِّ، الَّذي لا يُثيرُ إِلَّا الشُّكوكَ والأَوهامَ نَجيّاً.

فَصارَ كتابُ داعيَةِ الحُبِّ والإيمانِ مَصدراً هاماً في إذكاءِ الشُّعورِ الدِّينيِّ، وإثارةِ العاطفةِ الإسلاميَّةِ، وكَذلِكَ مَرجعاً ثَريّاً لإنماءِ التَّفكيرِ العَقلي والفَلسَفي القائِمِ عَلى الحُبِّ والإيمانِ، وغايَتُهُ سَعادةُ الإنسانِ في الدُّنيا والآخرةِ.

❋ ❋ ❋

يَرجعُ أَصلُ جلالِ الدِّين الرُّوميُّ، إلى عائِلةٍ عربيَّةٍ مُسلمةٍ، استوطَنَتْ وسَكنَتْ بِلادَ فارس عَقبَ الفَتحِ الإسلاميِّ لَها في عهدِ الخليفَةِ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ، ويَنتهي نسبُ هذِهِ العائِلةِ المُتديِّنةِ إلى الصَّحابِيِّ الجليلِ أَبي بَكرٍ الصِّديقِ ﷺ، وهذا ما يُؤكِّدُ عُروبَتَها القَديمةَ.

واسمُ جَلالُ الدِّين ونَسبُهُ هُوَ: العارفُ بِاللهِ العَلّامةُ الحكيمُ المُتصوِّفُ أَبو مُحمَّدٍ سُلطانُ ولدِ جلالِ الدِّينِ مُحمَّدِ بنِ بَهاءِ الدِّين مُحمَّدِ بنِ حُسينِ بنِ أَحمدَ بنِ قاسمِ بنِ مُسيّبِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ عَبدِ الرَّحمنِ بنِ أَبي بَكرٍ الصِّديقِ، وقَدْ عُرِفَ بِالرُّوميِّ، لأَنَّهُ قَضى مُعظمَ حياتِهِ في مَنطقةٍ تُسَمَّى «الرُّوم» وهيَ في تركيا حاليّاً.

ولدَ جَلالُ الدِّين سنةَ (604) هجريَّةً في مَنطقةِ بَلخَ في خُراسانَ ـ تقع في أَفغانستانَ حاليّاً ـ وكانَتْ بَلخُ تابعةٌ لِلإمبراطوريَّةِ الخوارزميَّةِ الخُراسانيَّةِ، وكانَ والدُ جَلالِ الدِّين، «بَهاءُ الدِّين ولَد» مِنْ كبارِ عُلماءِ عَصرِهِ في بِلادِهِ، وقَدْ لُقِّبَ بِسُلطانِ العُلماءِ لِما لَهُ مِنْ سعةٍ في العلمِ والمعرفَةِ بِعلومِ الدِّين والقانونِ والتَّصوُّفِ، وقَدْ حُظيَتْ أُسرتُهُ بِمُصاهرةِ البيتِ الحاكمِ في خَوارزمَ، فَأُمُّهُ ابنةُ «خَوارِزْمَ شاهِ علاءِ الدِّين مُحمَّدٍ» وتُدعَى «مُؤمنة خاتون»، فَنشأَ جَلالُ

الدِّين في بَلدتِهِ بلخ، ورُبيَ مِنْ قِبلِ أَبيهِ عَلى العلمِ والإيمانِ، ولَمْ يَكَدْ يَبلغُ سِنَّ الصِّبا حَتَّى هاجرَ معَ عائِلتِهِ إِلى مَدينةِ نيسابورَ في بِلادِ فارس، بِسببِ الاجتياحِ المَغولي لِمملكةِ خَوارِزْمَ، وقيلَ: بِسببِ خلافٍ نَشبَ بينَ والدِهِ وبينَ ملكِ خَوارِزْمَ، وفي نيسابورَ التَقى جلالُ الدِّين معَ الشَّاعرِ الصُّوفيِّ الفارسيِّ «فَريدِ الدِّين العَطارِ» وأَهداهُ ديوانَهُ «أَسرار نامة»، الَّذي أَثَّرَ تَأثيراً كبيراً عَلى الشَّابِّ «جلالِ الدِّين» المُتحمِّسِ بِشغفٍ إِلى العلمِ، ودَفعَهُ لِلغَوصِ في عالمِ الشِّعرِ والرُّوحانياتِ والصُّوفيَّةِ، ثُمَّ سافرَ معَ عائِلتِهِ إِلى بَغدَادَ، وهُناكَ لُقِّبَ بِجلالِ الدِّين، ثُمَّ تابعوا التِّرحالَ إِلى سوريَّا، ومِنها إِلى مكَّةَ المُكرَّمةِ، ثُمَّ واصلوا المَسيرَ إِلى بِلادِ الأَناضولِ واستَقرُّوا في «كَرمانَ» وأَقاموا فيها سَبعَ سَنواتٍ حيثُ توفيِّتْ والدتُهُ، وفيها تَزوَّجَ جلالُ الدِّين بِزوجتِهِ «جَوهر خاتون» وأَنجبَ مِنها وَلديهِ «سُلطانَ ولد» و«علاءَ الدِّين شَلَبي»، وعندَ وفاةِ زَوجتِهِ تزوَّجَ مِنِ امرأةٍ أُخرَى وأَنجبَ مِنها ابنهُ «أَميرَ العلمِ شَلبي» وابنتَهُ «مَلكَة خاتون».

وفي عامِ (626) هجريَّةً تَلَقَّى الشَّيْخُ، «بَهاءُ الدِّين» والدُ جلالِ الدِّين، دعوةً مِنَ السُّلْطانِ السّلجوقيِّ، «عَلاءِ الدِّين كَيقباد»، سُلطانِ الرُّومِ، لِلإِقامةِ في «قونيَةَ» عاصمةِ الدَّولةِ السّلجوقيَّةِ، فَرافقَ جَلالُ الدِّين والدَهُ إِلى هُناكَ، والتَقى في قونيَّةَ بِالعالمِ المُحقِّقِ «برهانِ الدِّين التّرمذيِّ» الَّذي كانَ أَحدَ تَلاميذِ والدِهِ ـ وهوَ غيرُ التّرمذيِّ المُحدِّثِ المَشهورِ ـ واستفادَ مِنْ علمِهِ كثيراً.

كما تَرأَّسَ والدُهُ، إِدارةَ المَدرسَةِ السُّلطانيَّةِ، في قونيَّةَ حَتَّى وفاتِهِ سنةَ (638) هجريَّةً، فَخلفَهُ ابنهُ جلالُ الدِّين في التَّدريسِ والوَعظِ والإِرشادِ فيها، وكانَ جلالُ الدِّينَ قبلَ ذَلكَ

قَدْ قامَ بِرحلةٍ علميَّةٍ استمرَّتْ أَربعَ سَنواتٍ إلى بِلادِ الشَّامِ، والتَقَى فيها بِأَعظمِ العقولِ الدِّينيَّةِ والعلميَّةِ، ثُمَّ عادَ إلى قُونيةَ سنةَ (643) هجريَّةً.

❁ ❁ ❁

كانَتْ شَخصيَّةُ جلالِ الدِّين العلميَّةُ ـ وهوَ يَعملُ في التَّدريسِ والوَعظِ والإرشادِ ـ تَتبلورُ مَعَ مرورِ السِّنين وتَتطوَّرُ في كِلا الجانبينِ: جانبِ العلمِ والعرفانِ، والرُّوحِ والعقلِ، حَتَّى حَصلَ ذَلكَ التَّحوُّلُ الهامُّ في شَخصيَّتِهِ، وغيَّرَ لَهُ مَجرَى حياتِهِ كُلّها، وقَلبَ لَهُ مسارَ اهتماماتِهِ رأساً عَلى عَقبٍ، فَفي سنةِ (642) هجريَّةً وصلَ إلى قُونيَةَ العالمُ الزَّاهدُ المُتصوِّفُ، والشَّاعرُ الحكيمُ «شَمسُ الدِّين التَّبريزيُّ» قادماً مِنْ مَدينةِ تبريز في بِلادِ فارس باحثاً عَنْ شَخصٍ يَجدُ فيهِ خيرَ الصُّحبَةِ، فَوجدَ في جلالِ الدِّين الرُّوميِّ ضالَّتَهُ المَنشودةَ، ويُقالُ: إنَّ جلالَ الدِّين خرجَ يوماً في موكبٍ حافلٍ بِالتَّلاميذِ والعُلماءِ، والنَّاسُ حولَهُ يَسأَلونَهُ ويَستفيدونَ منهُ، فَتقدَّمَ «شَمسُ الدِّين» مِنَ الرَّاكبِ المُحتفَلِ بِهِ، وسَأَلهُ:

ما المَقصودُ مِنَ الرِّياضيَّاتِ والعلومِ؟

فَأَجابَهُ جَلالُ الدِّين: الاطِّلاعُ عَلى آدابِ الشَّرْعِ.

فقال لَهُ «شَمسُ الدِّين» بِكُلِّ هدوءٍ وثِقةٍ: لا، بَل الوصولُ إلى المَعلومِ.

وأَنشدَ بيتَ الحكيمِ «الثُّنائيِّ» الَّذي يَقولُ فيهِ:

العلمُ إذا لَمْ يُجرّدْكَ مِنْ نَفسِكَ فَالجهلُ خيرٌ منهُ

فَلَمْ يَفترقِ الصَّاحبانِ منذُ لِقائِهما، وعكفَ جَلالُ الدِّين معَ صاحبِهِ وأُستاذِهِ الجَديدِ،

وامتلأَتْ نَفسُهُ منهُ بِروحٍ جَديدةٍ، وانكشَفَ لَهُ عالَمٌ جَديدٌ مِنَ الحَقائِقِ والأَحوالِ والأَذواقِ، ودخَلَ معهُ في خلوةٍ استمرَّتْ سِتَةَ أَشهُرٍ، وتَشاغلَ معهُ عَنْ تلاميذِهِ ومُريديهِ، وقَدْ أَشارَ جلالُ الدِّين في أَشعارِهِ إلى فَضلِ التَّبريزيِّ عليهِ بِقولِهِ: «إنَّ الشَّمسَ التّبريزيَّ هوَ الَّذي أَراني طريقَ الحقيقَةِ، وهوَ الَّذي أُدينُ لَهُ في إيماني ويَقيني».

ويَقولُ «سُلطانُ ولد»، ابنُ جلالِ الدِّينِ: «إنَّ الأُستاذَ الكبيرَ أَصبحَ تلميذاً صَغيراً لِلشَّيخِ التَّبريزيِّ، ويَتلقَّى منهُ الدُّروسَ كُلَّ يَومٍ، إنَّهُ وإنْ كانَ نابغةً في العلومِ، ومُقدَّماً في الزَّهادةِ، ولَكنَّهُ رأَى عندَهُ علماً جَديداً لا عهدَ لَهُ بِهِ».

وبِسبَبِ انصرافِ جلالِ الدِّين الكبيرِ إلى شَيخِهِ الجديدِ، صارَ الشَّمسُ التَّبريزيُّ يَتعرَّضُ لِلانتقاداتِ والمُضايقاتِ مِنْ قِبلِ تَلاميذِ جلالِ الدِّين لأَنَّهُ شَغلهُ عَنهُمْ، وكادَتْ أَنْ تَحدثَ في قونيَةَ فتنةٌ كبيرةٌ بِسببِ ذَلكَ، فَخرجَ «شَمسُ الدِّين التَّبريزيُّ» مِنها ولَمْ يَعُدْ إليها منذُ ذَلكَ الحينِ، وأَحدثَ خروجَهُ غَمّاً وحُزناً في نَفسِ جلالِ الدِّين، سُرعانَ ما فاضَ حُزنُهُ العميقُ، بِأَشعارٍ وموسيقَى روحيَّةٍ ورَقصاتٍ تُعبِّرُ عَن الهيامِ في محبَّةِ اللهِ وذِكرِهِ بِطريقَةٍ نُسبَت إليهِ، وصارَ لَهُ أَتباعٌ ومريدونَ فيها تُعرَفُ بِالطَّريقةِ (المولويَّةِ).

ومِنْ ثَمَّ، خرجَ جلالُ الدِّين يَبحثُ عَنْ شَيخِهِ التَّبريزيِّ بِرفقةِ بَعضِ أَصحابِهِ، فَقدمَ دمشقَ وأَشعلَ قلوبَ أَهلِها مَحبَّةً وغَراماً. فَتعجَّبَ النَّاسُ مِنْ حالِهِ، وأَخذوا يَتساءلونَ عَنْ شَيخِهِ التَّبريزيِّ ويَقولونَ:

مَنْ هذا الرَّجلُ الَّذي هامَ بِهِ نابغةُ عَصرِهِ ونادرةُ زمانِهِ هذا الهيام؟

ولَمَّا يَئسَ جلالُ الدِّين مِنَ العُثورِ عَلى شَيخِهِ سَكَنَتْ نَفسُهُ وقالَ:

«لا فرقَ بيني وبينَ شَمسِ الدِّين، إنْ كانَ شَمساً فَأنا ذرَّةً، وإنْ كانَ بَحراً فَأنا قَطرةً، ونورُ الذَّرةِ مِنَ الشَّمسِ، وحياةُ القَطرةِ مِنَ البَحرِ».

ورجعَ إلى قونيَةَ، وأضاءَ قلوبَ النَّاسِ بِنورِ محبَّةِ اللهِ، وأطربَ نفوسَهُمْ بِألحانِ ذِكرهِ ﷻ.

❁ ❁ ❁

مَكثَ «جلالُ الدِّين» في قونيَةَ بَعدَ عودتِهِ مِنْ دمشقَ وهوَ غيرُ بَعيدٍ عَنْ ذكرياتِهِ مَعَ شَيخِهِ التّبريزيِّ، يُنشدُ الأَشعارَ الخالدةَ في الحُبِّ الإلهيِّ، وتَعرجُ روحُهُ في كَمالاتِ العالمِ العُلويِّ، وتَسبحُ نَفسُهُ في أَنوارٍ مِنَ التَّجلي الأَعظمِ في أَحوالِ الوجدِ والهيامِ والقُربِ مِنْ حَضرةِ العنايةِ الرَّبّانيَّةِ، والإشراقاتِ الصَّمدانيَّةِ، فَيفيضُ عَلى مَنْ حوله بِقبساتٍ مِنَ الحُبِّ والإقبالِ عَلى اللهِ ومُلازمةِ جنابِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ وتَقديسِها، وصارَتْ مدينةُ قونيَّةَ قبلَةَ المُريدينَ القادمينَ إليهِ مِنْ كُلِّ مكانٍ، وحَضرةً لِلعابدينَ، أذنَ اللهُ أَنْ يُسبَّحَ لَهُ فيها ويُذكرَ فيها اسمُهُ في الغُدوِّ والآصالِ.

وبِسببِ إيمانِهِ العَميقِ بمبادئِ وتَعاليم دينِهِ، وبِسَبَبِ ما يُكنُّهُ في نَفسِهِ مِنَ محبَّةٍ وتَسامحٍ حيالَ الآخرينَ، استطاعَ جَلالُ الدِّينَ، أَنْ يَجذبَ أَتباعَ الدّياناتِ الأُخرَى إلى الإسلامِ مِنْ يَهودٍ ونَصارَى ووَثنيينَ، وكانَتْ فَلسَفتُهُ الرُّوحيَّةُ الصُّوفيَّةُ، مَبنيَّةٌ عَلى أَساسِ التَّسامُحِ والاعترافِ بِالآخرِ، فَكانَ يَرَى أنَّ الأَديانَ السَّماويَةَ جَميعاً حَقيقيَّةٌ في مَنهجها الإيمانيِّ، وتَجتمعُ فيما بَينَها بِإفرادِ اللهِ بِالمحبَّةِ والتَّعظيمِ والتَّقديسِ، وحَضِّ النَّاسِ عَلى الخيرِ والإحسانِ، ولِهذا عُدَّ جلالُ الدِّين مِنَ المُصلحينَ والعَظماءِ في تاريخِ الإنسانيَّةِ الَّذينَ دَعَوا

الإنسانيَّةَ إلى التَّسامحِ الدينيِّ ونبذِ الخلافاتِ والاجتماعِ عَلى مَحبَّةِ اللهِ، وكَذلِكَ إلى تَركِ التَّفكيرِ الفَلسفي المادِّي والعَقلي المُجرَّدِ عَنْ أَيِّ عاطفةٍ إنسانيَّةٍ، وكانَ لِدعوتِهِ ولِتربيتِهِ مُريديهِ عَلى هذِهِ المبادئِ الرَّاشدةِ، أَثرٌ إنسانيٌ عَميقٌ ليسَ عَلى صعيدِ المُجتمعِ الإسلاميِّ وحسب! وإنَّما عَلى صَعيدِ المجتمعِ الإنسانيِّ عامَّةً.

ومِنْ هذا المُنطلقِ احتفلَتْ مُنظمَّةُ (اليونسكو) العالميَّةُ في الأَعوامِ المُنصرمةِ بالذِّكرَى المُئويَةِ الثَّامنةِ لِوفاتِهِ، وكانَ ذَلكَ نتيجةَ جهودٍ كبيرةٍ بَذلَها المُستشرقونَ في تَرجمةِ أَشعارِهِ ومقالاتِهِ إلى اللُّغاتِ الأُوربيَّةِ، وإقبالَ الأُوربيينَ عَلى قِراءَتِها بِشغفٍ وعِنايَةٍ، لِأَنَّهُمْ رَأَوا فيهِ شاعرَ المَحبَّةِ والتَّسامحِ والسَّلامِ، وقَدْ نَقلَتْ وسائِلُ الإعلامِ العربيَّةِ عَنْ إحدَى الصُّحفِ الغربيَّةِ، أَنَّهُ بيعَتْ في انجلترا وَحدَها خِلالَ أَشهرٍ قليلةٍ قُرابَةَ مليونِ نَسخةٍ مِنْ أَشعارِ مولانا جَلالِ الدِّين الرُّوميِّ، وكانَ مِنْ أَبرزِ المُستشرقينَ الذينَ تَرجموا أَعمالَهُ الخالدةَ في التَّصوُّفِ والحُبِّ الإلهيِّ والعرفانِ البروفيسورُ «كولمان بارِكس» راجياً أَنْ تُسهمَ تَرجماتُهُ في إذابَةِ الجليدِ بينَ الأَمريكيينَ والمُسلمينَ، خُصوصاً أَنَّ التَّرجمةَ تَحملُ رسائِلَ حُبٍّ إلى كافَّةِ الشُّعوبِ والأَديانِ.

❀ ❀ ❀

لا ريبَ أَنَّ جلالَ الدِّين الرّوميَّ مِنْ أَساطينِ شُعراءِ الصُّوفيَّةِ الَّذينَ تربَّعوا عَلى عرشِ الحُبِّ الإلهيِّ الخالدِ، وكانَ يَرَى أَنَّ الرُّوحَ شعارُها دائِماً العِشقُ. والعِشقُ وَحدَهُ هوَ الَّذي

يُثيرُ الرُّوحَ ويُحرِّكُ مكامنَ النَّفسِ لِلإقبالِ عَلى اللهِ. ولِهذا يَدعو الإنسانَ دائِماً إلى أَنْ يَعشقَ حَتَّى الثُّمالةِ، لأنَّ الوجودَ كُلَّهُ عشقٌ.

فَيقولُ مُخاطباً البشريَّةَ أَجمع: «إنَّ حكايَةَ الحُبِّ لا تَنتهي، وتَفنَى الدُّنيا ولا تَنقَضي عَجائِبُهُ، لأَنَّ الدُّنيا لَها نِهايَةٌ وغايَةٌ، والحُبُّ وَصفُ مَنْ لا يَفنَى ولا يَموتُ».

فَلقَدْ أَحبَّ الرُّوميُّ اللهَ فَأَحبَّهُ اللهُ ورَفعَ لَهُ مِنْ قَدرهِ بينَ النَّاسِ، وكَذلِكَ أَحبَّ النَّاسَ فَبادلَهُ النَّاسُ الحُبَّ والتفُّوا حولَهُ في حضرةِ القُربِ مِنَ اللهِ، ولَمْ يَزلِ الحُبُّ شغلَهُ الشَّاغلَ وهوَ عَلى فِراشِ موتِهِ، فَإِذا عادَهُ أَحدُهُمْ ودَعا لَهُ بِالشِّفاءِ، اعتذرَ مِنهُ وقالَ: «هَنأَكَ اللهُ، وما يُضرُّكَ إذا رُفعَ الحجابُ بينَ الحبيبِ والمَحبوبِ؟!».

وفاضَتْ روحُهُ الطَّاهرةُ، عندَ غروبِ الشَّمسِ لِخمسٍ خَلونَ مِنْ جَمادى الآخرةِ سنةَ (672) هجريَّة، عَلى أَلحانِ الحُبِّ الَّتي شَدا بِها قلبُهُ الهائِمُ في رِياضِ محبَّةِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ عَلى أَوتارِ الخَلجاتِ الأَخيرةِ مِنْ نَفسِهِ، وشُيِّعَتْ جنازَتُهُ عَلى أَصداءِ كَلماتِ السَّماءِ، حيثُ كانَ اليَهودُ والنَّصارَى يَتلونَ التَّوراةَ والإنجيلَ، وكانَ المُسلمونَ يُنحُّونَهُمْ فَلا يَنتحونَ.

وكما ذَكرَ المُؤرِّخونَ أَنَّ هذا الأَمرَ بَلغَ حاكمَ البَلدِ، فَقَالَ لِقَساوسَتِهمْ ورُهبانِهِمْ:

ما لَكُمْ ولِهذا الأَمرِ، وإنَّها لَجنازةُ عالمٍ مُسلمٍ؟

فقالوا: «بِهِ عرفْنا حَقيقَةَ الأَنبياءِ السَّابقينَ، وفيهِ رأَينا سيرَةَ الأَولياءِ الكاملينَ».

ويُقالُ: إنَّ جنازتَهُ خرجَتْ في الصَّباحِ الباكرِ، ووَصلَتْ إلى مَقبرةِ البَلدِ عندَ المَساءِ، ودُفنَتْ في اللَّيلِ، مِنْ كثرةِ ازدحامِ النَّاسِ عليها مِنْ أَتباعِ كُلِّ ديانةٍ.

وقَدْ تركَ لَنا جلالُ الدِّين آثارَهُ الخالدةَ، كَتراتيلِ عشقٍ لِلإلهِ، يُردِّدُها فَمُ الزَّمانِ، في رِحلة الحياةِ ومحرابِ الوجودِ، وهيَ:

1 ـ كتابُ المَثنوي المَعنويِّ، وفيهِ مجموعةٌ مِنَ القَصائِدِ المُستوحاةِ مِنْ معاني القُرآنِ وقِصَصِهِ، ويُعتبرُ مِنْ أَهمِّ دواوينِ الشِّعرِ الصُّوفيِّ.

2 ـ ديوانُ شَمسِ الدِّين التَّبريزيِّ الَّذي كتبَهُ في ذكرياتِ شَيخِهِ الحبيبِ.

3 ـ كتابُ الرُّباعياتِ، وهيَ منظومةٌ مِنَ الشِّعرِ الصُّوفيِّ.

4 ـ كتابٌ فيهِ ما فيهِ، وهيَ مواعظُ وحكمٌ أَملاها إلى مُريديهِ.

5 ـ كتابُ المجالسِ السَّبعةِ ويَتضمَّنُ مُحاضراتٍ عَن القُرآنِ والسُّنَّةِ.

6 ـ الرَّسائِلُ الَّتي كَتبها إلى مُريديهِ ورِجالِ الدَّولةِ يَنصَحهُمْ فيها بِالتزامِ آدابِ الشَّرْعِ وأَحكامِهِ.

الأسئلة والمناقشة

1 ـ كيفَ يَذكرُ التاريخُ جلالَ الدِّين الرُّوميَّ؟

2 ـ ماذا أَعادَ جلالُ الدِّين الرُّوميُّ لِلأُمَّةِ ولأَبنائِها؟

3 ـ ماذا كانَ يُمثِّلُ كتابُ المَثنوي المَعنويِّ لجلالِ الدِّين الرُّوميِّ؟

4 ـ إِلى مَنْ يَنتهي نسبُ جلالِ الدِّين الرُّوميِّ، وما أَصلُ عائلتِهِ؟

5 ـ بِماذا كانَ يُلقَّبُ والدُ جلالِ الدِّين، ولِماذا؟

6 ـ بِماذا حظيَتْ أُسرةُ جلالِ الدِّين، ومَنْ كانَتْ أُمُّهُ؟

7 ـ إِلى ماذا دَعا جلالُ الدِّين الإِنسانيَّةَ؟

8 ـ اذكُرْ مُؤَلَّفاتِ جَلالِ الدِّين الرُّوميِّ؟